# الفصل الثامن

## ناصر : التعايش مع إسرائيل ممكن
## رد بن جوريون : عملية غزة

تعليقا على العمليات الإرهابية الإسرائيلية فى مصر، توصل مسئول بالسفارة الأمريكية فى القاهرة، فى ٨ فبراير عام ١٩٥٥، إلى أن «شاريت لا يملك السيطرة على الأمور، إن كان من الممكن تنفيذ مثل تلك العمليات المجنونة». (١٧)

**«كتب رئيس الوزراء بأن وزارة الخارجية الأمريكية خشيت من أن تؤدى العمليات الاستفزازية الإسرائيلية المتوالية إلى تخريب العلاقات الأمريكية مع العالم العربى، خاصة بعد التوقيع على معاهدة أنقرة ـ [حلف بغداد]. لذلك حاولت الإدارة الأمريكية التحرك فى اتجاهين، فى وقت واحد، حتى تنقذ ما يمكن إنقاذه فى**



obeikandl.com

**الوضع القائم: وضعت ضغوطًا على عبد الناصر من أجل أن يتفاوض على اتفاقية ما مع حكومة شاريت، وعرضت على الدولة الصهيونية اتفاقية أمنية. أشار رئيس الوزراء الإسرائيلى أن كيرميت روزفلت الابن، الذى يعمل فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كان يعمل على إقامة اتصالات بين إسرائيل ومصر، وأن شاريت سوف يعين إيجال يادين ممثلاً له». (٢١ يناير ١٩٥٥، ٦٧٥).**

**«[تقابلت مع] روجر بالدوين، مبعوث الرابطة الأمريكية لحقوق الإنسان الذى زار القاهرة... تحدث عبد الناصر إليه عن إسرائيل، وقال إنه ليس من بين هؤلاء الذين يريدون أن يلقوا بإسرائيل إلى المتوسط. أنه يؤمن بالتعايش مع إسرائيل، ويعرف أن المفاوضات سوف تبدأ يوما ما». (٢٥ يناير ١٩٥٥، ٦٨٠).**

**«برقية من إيبان... الولايات المتحدة على استعداد لأن توقع على اتفاقية معنا، نلتزم على أساسها بألا نوسع حدودنا بالقوة، وتلتزم أمريكا بأن تأتى لمساعدتنا فى حال تعرضنا للهجوم. (٢٨ يناير ١٩٥٥، ٦٩١)**

**«[فيما يخص الاقتراحات التى قدمتها واشنطن [من أجل معاهدة أمنية أمريكية ـ إسرائيلية] بعثت ببرقية إلى إيبان أقول فيها إننا على استعداد لقبول بند يجبرنا على ألا نوسع حدودنا بالقوة، ولكن لا يجب، بأى حال من الأحوال، أن نلزم أنفسنا بالامتناع عن أى عمل عدائى لأن ذلك سيعنى أن نغلق الباب أمام أية إمكانية للقيام بأعمال انتقامية». (١٤ فبراير ١٩٥٥، ٧٢٦)**

هذه الجملة الأخيرة تشير إلى أن الأنباء عن المقترحات الأمريكية، وعن مفاوضات محتملة بين شاريت وعبد الناصر انتشرت بسرعة فى المؤسسة الأمنية. وبدأ تصعيد الضغوط على شاريت. فى ١٧ فبراير، قبل بن جوريون دعوة رئيس

الوزراء للعودة إلى الحكومة كوزير دفاع. وحسب قول صاحبة المنزل الذى يقيم فيه، دون شاريت فى يومياته فى هذا اليوم قائلا: «ذلك هو نهاية السلام والهدوء». وفعلا، بعد عشرة أيام...

**«وصل بن جوريون... مع... رئيس الأركان، الذى كان يحمل لفائف من الخرائط. فهمت فورا فحوى المباحثات... كان اقتراح القائد الأعلى أن يضرب قاعدة عسكرية مصرية فى مدخل مدينة غزة... [توقع هو] أن تصل خسائر العدو إلى نحو عشرة... وأن علينا أن نكون مستعدين لوقوع بعض الضحايا من جانبنا. أصر بن جوريون أن النية ليست أن نقتل ولكن أن يدمر المبانى فحسب. إذا هرب المصريون بسبب الصدمة، قد لا يكون هناك أية دماء على الإطلاق.**

**وافقت على الخطة. عملية التسلل بالقرب من ريخابوت ـ ٣٠ كيلومترًا من حدود قطاع غزة ـ صدمت الرأى العام وغير مقبول غياب رد الفعل.. فى داخلى كنت أشعر بالأسف أن (الرأى العام) سوف ينسب العملية الانتقامية إلى بن جوريون. ففى النهاية، لقد أقريت بالفعل عملية انتقامية عندما كان بن جوريون خارج الحكومة، ولم تنفذ العملية بالصدفة البحتة. كنت سأوافق على تلك العملية، أيضًا، بغض النظر عن أن بن جوريون هو وزير الدفاع». (٢٧ فبراير ١٩٥٥، ٧٩٩-٨٠٠)**

**«إننى مصدوم. عدد [الضحايا المصريين (مقتل ٣٩ وإصابة ٣٠ بينهم صبى فى السابعة من عمره)] لم تغير أبعاد العملية فحسب، بل جوهرها نفسه أيضا؛ فقد حولتها إلى حدث من شأنه أن يتسبب فى تعقيدات ومخاطر سياسية وعسكرية كبيرة.. صرح المتحدث الرسمى العسكرى، بناء على تعليمات من وزير الدفاع، بتصريحات مغلوطة إلى الصحافة: قامت وحدة من وحداتنا، بعد**

**أن تعرضت لهجوم مفترض داخل أراضينا، ردت بإطلاق النار، واشتبكت فى معركة تحولت فيما بعد إلى ما حدث. من الذى سيصدقنا؟». (١ مارس ١٩٥٥، ٨٠٤)**

نفس القصة تكررت: إضرب واجرى وحاول أن تخدع العالم

**«يجب توجيه تعليمات إلى السفارات لإدانة مصر، وبألا نتصرف من منطلق الدفاع... الآن سيسود انطباع عام بأنه بينما نشتكى من عزلتنا، والمخاطر التى يتعرض لها أمننا، نبادر بالهجوم، ونكشف أنفسنا كدولة متعطشة إلى الدماء، ومتطلعة إلى ارتكاب مذابح على نطاق واسع... من الممكن أن يفسر هذا الهيجان بأنه نتيجة لغضب الجيش والأمة ضد سياسات القوى الكبرى التى تتجاهل أمن بلادها، وسوف يمنعون استمرار مثل تلك السياسة، إلى النهاية المرة. ونحن علينا على الأقل، أن نعمل من أجل أن يكون ذلك هو الانطباع العام... قمت بإملاء برقية إلى السفارات... من المرغوب فيه أن تعبر الصحافة عن الآتى: (أ) إن الرأى العام الإسرائيلى أصيب بالاضطراب نتيجة لتسلل عصابة مصرية الى داخل مناطق آهلة بالسكان، وهجومها على المواصلات العامة؛ (ب) يبدو أن الاشتباك تحول إلى معركة جدية عندما وقع تبادل إطلاق النار؛ (ت) تزعم مصر بأنها فى حالة حرب مع إسرائيل، وهو ما تشير إليه من خلال أفعال مثل الاعتقالات والاغتيالات، وإن كانت هناك حالة حرب، تلك هى النتائج؛ (ث) هذا الحدث لا يمكن فصله عن الخلفية العامة من الشعور بالعزلة التى سادت إسرائيل فى ضوء تحالفات الغرب مع الدول العربية، ... آخر مثال على ذلك معاهدة أنقرة ــ بغداد التى وضحت أهدافها المناهضة لإسرائيل.**

«وآخر نقطة (ث) تحتاج إلى معالجة حذرة للغاية، حيث أنه يجب ألا تنسب (العملية) إلينا، ويجب أن تعهد فقط الى أكثر (المعلقين) ولاء لنا، ويجب تحذيرهم بألا يبدون متأثرين بمصادرنا.

«عندما كتبت تلك الأشياء [التعليمات إلى السفارات] لم أكن أعلم بعد إلى أى حد الأدلة ماحقة ـ تلك التى تم نشرها، بالفعل، والتى تنفى روايتنا الرسمية. الكمية الضخمة من الأسلحة والمتفجرات، التكتيكات فى الهجوم، إعاقة وتلغيم الطرق... التنسيق الدقيق للهجوم. من سيكون غبيًا لدرجة تصديق أن مثل تلك العملية المعقدة يمكن أن «تتحول» هكذا من هجوم عرضى ومفاجئ على وحدة عسكرية إسرائيلية تقوم بها وحدة مصرية؟...

«إننى أتعذب بالأفكار فى أن يكون ذلك أكبر فشل لى كرئيس وزراء. من يعلم عواقبه السياسية والأمنية؟» (١ مارس ١٩٥٥، ٨٠٤ – ٨٠٥).

واحدة من العواقب الفورية والمحتومة كانت كالآتى:

«بالأمس... دارت مناقشة بين صلاح جوهر [الممثل المصرى الرئيسى فى لجنة الهدنة المشتركة] و[جوزيف] تكواع، أبلغ الممثل المصرى [تكواع] بعد الاجتماع الأخير مباشرة [والذى عقد بُعيد الهجوم على غزة مباشرة...] قال له عبد الناصر.. إنه أجرى اتصالا شخصيا مع رئيس وزراء إسرائيل، وأن هناك فرصًا جيدة أن تتطور الأمور بشكل إيجابى، ولكن فى ذلك الوقت وقع الهجوم على غزة، وبالطبع الآن.. انتهى كل شئ.

«يرى لوسون [السفير الأمريكى] أن السبب فى التحذيرات والتهديدات [من الدول العربية] هو الخوف الذى ساد العالم العربى بعد عودة بن جوريون. هجوم غزة فسر على أنه يشير إلى قرار من

**جانبنا بالهجوم على كل الخطوط الأمامية. الأمريكيون، أيضًا، يشعرون بالخوف من أين ذلك سوف يقودنا إلى انفجار فى الشرق الأوسط من شأنه أن يفجر كل خططهم. لهذا السبب، يرغبون فى الحصول منا على التزام نهائى بأن مثل تلك العمليات لن تتكرر». (١٢ مارس ١٩٥٥، ٨٣٧).**

لكن عودة بن جوريون إلى الحكومة كانت تهدف، بالتحديد، إلى منع مثل هذا الالتزام، ولم يكن لديه أية نية فى تغيير فكره. بالعكس، فى ٢٥ مارس، بعد أقل من شهر من الهجوم على غزة، اقترح على الحكومة أن تقوم إسرائيل باحتلال قطاع غزة، هذه المرة احتلالا دائما. استمرت المناقشات خمسة أيام كاملة وانتهت بانقسام الوزراء بين هؤلاء المعارضين للاقتراح، والذى يرأسه شاريت، ومؤيدى بن جوريون. ولقد رفضت الخطة، أو على الأقل تأجلت، بعد أن حصلت على موافقة خمسة أصوات ومعارضة تسعة وامتناع اثنين. أما المعاهدة الأمنية التى عرضتها الولايات المتحدة، فكان لابد من رفضها لأن ـ كما شرح ديان فى أبريل عام ١٩٥٥ ـ سوف تضع القيود على حرية حركة جيشنا». وقدم شرحا مفصلا، فى ٢٦ مايو، خلال اجتماع مع سفراء إسرائيل فى كل من واشنطن (أبا ايبان) وباريس (ياكوف تسور) ولندن (إلياهو إيلات). وقام فيما بعد، كل من ياكوف هيرتزوج وجدعون رفائيل بإبلاغ شاريت بالمحادثة:

**«(قال ديان) إننا لسنا بحاجة إلى معاهدة أمنية مع الولايات المتحدة: مثل تلك المعاهدة سوف تمثل عائقًا لنا. إننا لا نواجه أى خطر على الإطلاق، من تفوق عربى فى القوة خلال الثمانية إلى العشر سنوات المقبلة. وحتى لو حصلوا على مساعدات عسكرية واسعة النطاق من الغرب، فسوف نحتفظ بتفوقنا العسكرى، بفضل قدراتنا الهائلة لدمج أسلحة جديدة. المعاهدة الأمنية سوف تقيِّدنا وتفقدنا حرية الحركة، التى نحتاجها فى السنوات المقبلة. العمليات الانتقامية التى لن نستطيع تنفيذها إن كنا مرتبطين بمعاهدة أمنية، هى**

**شريانا الحيوى . . إنها تسمح لنا بالحفاظ على مستوى عال من التوتر داخل شعبنا وجيشنا . بدون تلك العمليات لما بقينا شعبًا محاربًا ، وبدون انضباط شعب محارب سنضيع . يجب علينا أن نصيح دائمًا أن النقب فى خطر ، حتى يذهب الشباب إلى هناك . . .**

**كانت نتائج كلمات دايان واضحة : هذه الدولة ليس لديها أية تعهدات دولية ، ولا مشاكل اقتصادية ، ومسألة السلام غير واردة . . . عليها أن تحسب خطواتها بشكل ضيق الأفق وتعيش بسيفها . عليها أن ترى السيف كأداة أساسية ، إن لم تكن الأداة الوحيدة ، التى من خلالها تستطيع الإبقاء على معنوياتها عالية والحفاظ على توترها المعنوى . ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، قد تضطر ـ لا ، بل يجب عليها ـ خلق الأخطار ، ومن أجل فعل ذلك يجب أن تتبنى وسيلة الاستفزاز والانتقام . . . وقبل كل شىء ـ دعونا نأمل فى حرب جديدة مع الدول العربية ، حتى نتخلص أخيرا من مشاكلنا ونكتسب المساحة التى نريدها . (مثل زلة اللسان تلك : قال بن جوريون نفسه (المسألة تستحق أن ندفع مليون جنيه لعربى من أجل بدء حرب)» . (٢٦ مايو ١٩٥٥ ، ١٠٢١) .**

فى ١٤ أغسطس ، إلمر جاكسون ، زعيم الكويكر(*) ، كان فى زيارة للقدس بعد أن عقد اجتماعا فى القاهرة مع محمود فوزى ، وزير الخارجية المصرى ، أبلغ شاريت بأن عبد الناصر لا يزال مهتمًا بتطبيع العلاقات مع إسرائيل . فى ٧ اكتوبر ، قال الرئيس المصرى نفسه لمبعوث خاص من صحيفة «نيويورك تايمز» ، كينيث لوف : «لا يوجد عربى اليوم يقول إننا يجب أن ندمِّر إسرائيل» .[١٨] ولكن إسرائيل كانت قد اتخذت قراراتها بالفعل[١٩] .

(*) طائفة بيوريتانية من البروتستانت ، وترجمتها الحرفية «المتزلزلون» من ذكر الله ـ المترجمة .